

في تلك المرحلة، هيمن الفكر السكولاستيكي^١ (Scolastique) على التعليم التقليدي ولم يتنفس إلا هواءه، وعاشت المدرسة التقليدية مشلولة لغلق أبوابها بوجه العلم والفكر والحرمان من قوة الإبداع والإنشاء، وسلت التكية والزاوية نفسها بقراءة المناقب بدلاً عن العشق والشوق، واستحكمت في ممثلي القوة عقدة إثبات الذات والتذكير بالنفس بصورة متكررة لظنهم أنهم قد أهملوا... وفي خضم ذلك، انقلب كل شيء رأساً على عقب، وانقلعت شجرة الأمة لتهوي إلى الأرض. ويبدو أن هذه الزلازل لن تسكن إلى يوم يتهيأ فيه السعداء الذين يمهد القدر دروهم لاستخدام هذه الحركات استخداماً أمثل، ولتنفيس الاختناقات بين القلب والعقل وفتح ممرات الإلهام والتفكير في أعماق الإنسان النفسية.

الوصف السابع للوارث هو الفكر الرياضي. لقد حقق الأوائل في آسيا في الزمن الماضي، ثم الغربيون، ثمضتهم بفكر القوانين الرياضية. ولقد كشفت الإنسانية في تاريخها كثيراً من الجاهيل والمغلقات بدنيا الرياضيات المفعمة بالأسرار. فإذا تركنا التصرف المفرط للحروفية جانباً، فإنه لولا الرياضيات لما توضحت المناسبات بين البشر ولا بين الأشياء... فهي - كمصدر نور - تضيء طريقنا في الخط الممتد من الكائنات إلى الحياة، وترينا ما بعد أفق الإنسان، بل أعماق عالم الإمكان العسير التفكير فيه وتحمله، واللقاء بغاياتنا.

لكن العلم بالأشياء المتعلقة بالرياضيات لا يعني أن العالم بها رياضي.

١ المقصود هو التمسك بالأصول والأساليب التقليدية والاعتماد على المعاني اللفظية ومدلولات الكلام الموروث. (المترجم)